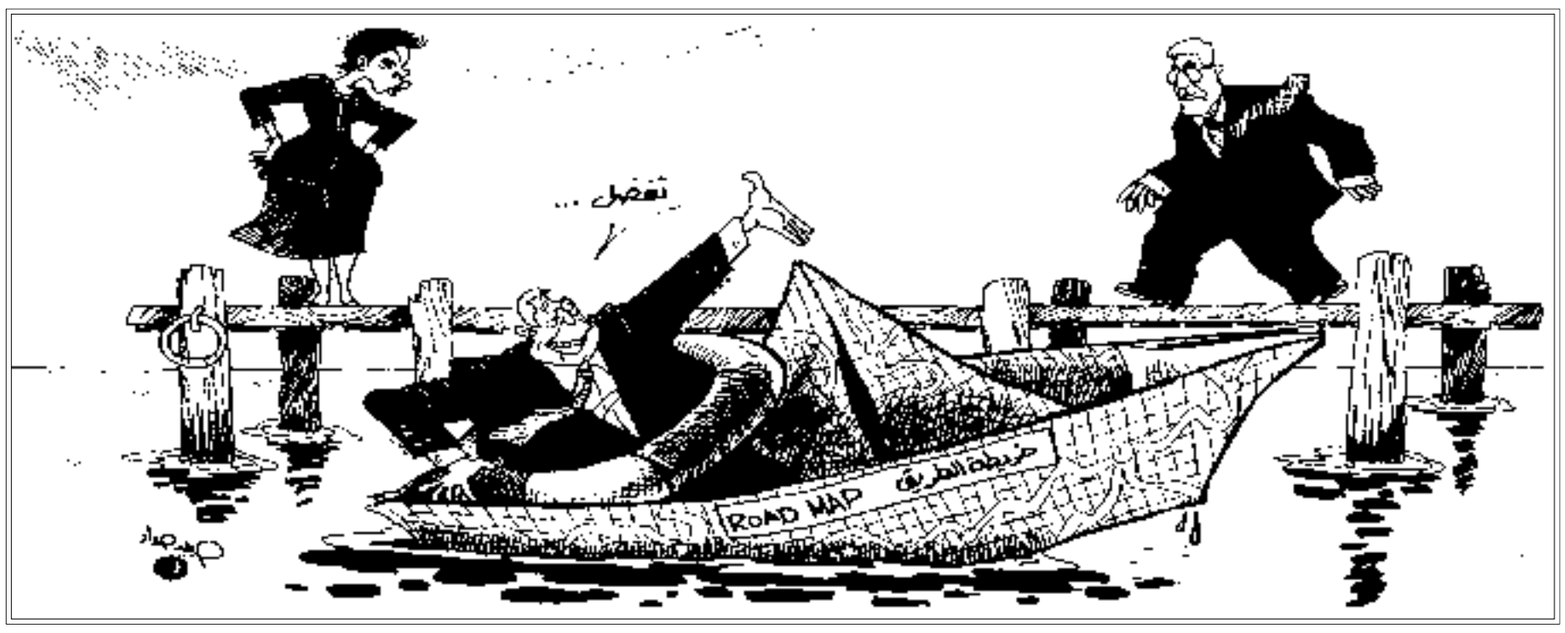

مرتكزات أساسية لمستقبل العراق السياسي

محمد بحر العلوم *

■ في التاسع من نيسان (ابريل) الماضي سقط أعتى نظام في عالم اليوم، ذلك هو سلطان صدام حسين في عراق الحضارات، وتنفس المواطنون العراقيون ـ بالدرجة الاولى ـ الصعداء وقد أزيل عنهم كابوس الارهاب المرهق بكل جبروته وطغيانه، وبكل ادوات قمعه وفتكه، واخذت تبرز على السطح كل مآسي السنوات العجاف المظلمة التي حكم فيها نظام البعث العراقي ورئيسه، فأزال كل معالم الحياة الانسانية، وترك مخلفات مؤلمة تحتاج الى سنوات من الجهد المتواصل لإعادة الطبيعة الى هذا البلد المعطاء، الغني بكل مقومات الحياة. وابناء هذا الوطن الغيارى في امكانهم صوغ عهد جديد لهم اذ لهم القدرة والكفاءة اذا فسح لهم المجال.

لقد تجاوزت مسيرة التحرير بنا الشهرين، وقوى التحالف تسعى الى استتباب الامن، وما زالت فلول النظام السابق تعمل بخبث وحقد على ارباك الوضع الامني وافشالاته، واثارة النعرات الطائفية المقيتة بلون وبآخر، وبحجة بائسة، ورغبة جامحة لزعزعة المكسب الرائع الذي حظي به شعبنا العظيم، وهو التحرر من نظام الخيانة والقمع، والارهاب والتعسف.

ان يقظة الشعب العراق المظلوم من نظام فاسد بائد تدعوه الى بذل المستحيل كي لا تعود عقارب الساعة الى الوراء من جديد، وسوف يحرص كل الحرص على الدفاع المستميت في سبيل بقاء مكتسباته الوطنية التي ناضل من اجلها سنوات القمع والارهاب.

ومن هذا المنطلق الاساس لا بد ان نلتقي في ظل حرية الكلمة واصالة الرأي لنتداول في شؤون مستقبل عراق الغد، وما يلزمنا من اتخاذ موقف موحد ازاء كثير من القضايا التي تخص مسيرتنا المستقبلية الى جانب وحدتنا ومصيرنا المشترك، نظراً الى ان مسؤولية المستقبل لا تخص جهة من دون جهة ولا فصيلاً محدداً، وانما تخص تلك المسؤولية جميع العراقيين الذين ناضلوا من اجل اسقاط سلطان صدام حسين.

لا شك ان العراق اليوم محكوم بسلطة قوى التحالف التي ساهمت في عملية التغيير مع الشعب العراقي، قد تختلف افكارها في ادارة الدولة ـ حالياً ـ مع افكار الكثيرين من القوى الوطنية على اختلاف نزعاتها وتوجهاتها الحزبية وغير الحزبية. لكنني لا اعدم الامل في التوصل الى الهدف في ما بيننا ما دمنا حريصين جميعاً على تحكيم العقل وعدم المجابهة الفاشلة التي يهدد بها البعض من الذين يحاولون تعكير الجو، والسباحة في بحر متلاطم.

وفي هذه الحال الراهنة الوقتية ـ كما اتصورها ـ علينا ان نلاحظ النقاط الآتية:

اولاً ـ ان قرار مجلس الامن الرقم ١٤٨٣ يحدد ان السلطة العليا هي سلطة التحالف الموقت، ومعنى هذا ان ليست عندنا حالياً سلطة او حكومة عراقية. وهذا جانب سلبي محض، ولكن الايجابي منه ان سلطة التحالف مسؤولة عن اعادة السلطة الى حكومة عراقية منتخبة غداً او بعد غد، وهذا يعني ببساطة الزام سلطة التحالف باجراء انتخابات يشارك الشعب العراقي بنتيجتها في العملية السياسية.

قد يرى البعض ان تحقيق ذلك يقتضي ضرورة القيام ببعض الاجراءات من اجل تحقيق النتيجة، وهذا يتطلب بعض الوقت. نحن نقول بوضوح لا لبس فيه اننا نهدف بشكل اساسي الى ان نحقق المشاركة السياسية للشعب، فاذا كانت الاجراءات تتطلب بعض الوقت فنحن مستعدون لاعطاء الوقت المطلوب من اجل ان نحقق هدفنا المقدس، وهو الانتخابات، وليس هناك من سبيل الى اعادة السلطة الى الشعب الا من خلال صناديق الاقتراع.

ثانياً ـ طوال العقود السوداء الماضية كان الهم العراقي الكبير هو ان السلطة العراقية نشأت على أسس خاطئة لذلك كان الانهيار نصيبها، وقد يكون بدايته من زمن ما يسمى بـ«الحكم الوطني». واذا كانت قد حصلت محاولات تصحيحية جريئة خلال العقود الماضية فإنها لم تتمكن من تحقيق هدفها المنشود، وقد يكون ضررها اكثر من نفعها.

علينا الآن ـ والفرصة متاحة لجميع العراقيين الشرفاء ـ بناء الدولة العراقية الجديدة على اسس ديموقراطية دستورية تعددية، تمثل كل النسيج العراقي ومكوناته من دون الغاء اي جهة طالما انها جهة عراقية. دولة تمتلك كل مقومات الدولة الحديثة وتحتفظ بالخصوصية العراقية، التي هي ضمان المستقبل السياسي.

ثالثاً ـ العمل على انتخاب مجلس تأسيسي يمثل جميع المحافظات العراقية لا بحجم سكانها يجمع فيه اهل الاختصاص من العلماء والاكاديميين، والقضاة والمحامين واهل الخبرة في المجالات القانونية، يكلف باعداد مسودة دستور دائم يعرض بعد ذلك على المجلس التأسيسي لإقراره، ثم يعرض للاستفتاء العام على الشعب العراقي بإشراف الامم المتحدة، او اي جهة دولية حيادية، وان مجلساً مكلفاً من جانب اي جهة بوضع مسودة دستور دائم للبلاد لا يحقق تطلعات شعبنا العراقي.

رابعاً ـ ان العراقيين بمختلف انتماءاتهم الدينية والسياسية والقومية والمذهبية، وفي طليعتهم قوى المعارضة الوطنية ـ في الداخل والخارج ـ يتطلعون الى انبثاق سريع لحكومة عراقية تعبر عن تيارات الشعب العراقي ومكوناته كافة، وتساهم في ملء هذا الفراغ السياسي والاداري القائم الذي يتسبب بكثير من المشكلات المعيشية والامنية والسياسية، ويتطلعون الى دولة حضارية تقوم على أسس متينة تلم شمل البلاد، وتصونها من التشتت والتمحور. واساس هذه المقومات هي: الحرية والاستقلالية والعدالة.

خامساً ـ علينا ان نخطط للدولة العراقية الحديثة بشكل يضمن العدالة في توزيع الثروة الوطنية، كما يجب تعريف الشرائح الوطنية بحقوقها وواجباتها والغاء كل القوانين الجائرة والمجحفة بحق الشعب العراقي، والتي سنّت وفق ظروف معينة، غمط فيها حق الشعب، خصوصاً خلال نظام صدام الذي وظف قراراته لمصلحة سلطته البغيضة، وكان من جرائها الاضطهاد الطائفي والعنصري، والانتهاكات الفظيعة لحقوق الشعب العراقي العظيم، وما تضمنته من ممارسات قمعية، ترفضها القيم الانسانية، ومبادئ حقوق الانسان.

سادساً ـ من اولويات استقرار العراق واستقلالية مستقبله الايمان والعمل بمبدأ سياسة حسن الجوار، ورفض كل محاولات التدخل بالشؤون الداخلية، وتحت أي شعار كان.

سابعاً ـ العمل على ان تأخذ المرأة العراقية ـ التي وقفت الى جانب الرجل في مراحل النضال السابقة ـ دورها الطبيعي، وحقها الكامل في المشاركة السياسية والاجتماعية والاعمار، وضمن كل المؤسسات التي تفرزها المرحلة الانتقالية، وما بعدها، كما من الضروري اعطاء حقها في التعليم والادارة، وحقوقها في الامومة وفق ما قررته الشريعة الاسلامية لها، وكذلك لا بد من الاهتمام بالطفل العراقي، وتوفير سبل رعايته بما يحقق له التربية الصالحة.

ثامناً ـ لقد كانت سياسة النظام الصدامي البائد توظيف الطلاب في مختلف المراحل اداة لسياسته الفردية التي وظفها لمصلحة سلطانه، فكانت النتيجة تخلفاً مريعاً في المستوى التعليمي، ومن الضروري ونحن في بداية بناء عراق المستقبل ان نأخذ اجواء الدراسة في كل مراحلها بنظر الاعتبار والاولوية وتحترم حق الطالب في التحصيل العلمي في المدارس والجامعات والبعثات الخارجية بغية تأهليه بالمستوى العالي المثالي الذي يحتاجه الوطن في مستقبله.

تاسعاً ـ كان النظام السابق يصبّ جل اهتمامه على من يدور في فلكه فكان يغدق الاموال عليهم من دون رعاية للآخرين، والآن وقد عادت الامور الى مجاريها الطبيعية فلا بد من مراعاة الفرد العراقي من خلال تحسين احواله المعيشية والاقتصادية سواء كان موظفاً او متقاعداً وفي المجالات المدنية والعسكرية كافة، ممن كان لهم وجود شاخص في بناء كيان ووطننا الغالي ـ ماضياً وحالياً ـ وذلك بتخصيص مبلغ معين من موارد النفط لهم اسوة بالدول الاخرى، وعلينا توفير فرص العمل للشباب العراقي والاهتمام بمستقبله، وتفضيله على العامل الاجنبي الوافد.

عاشراً ـ علينا رعاية عوائل الشهداء الابرار والعمل على تحسين اوضاعهم المعيشية والمطالبة بالتعويضات، وكذلك الذين حكموا وسجنوا في سبيل الرأي والمعتقد ضحايا اجرام صدام ونظامه القمعي.

من الضروري الآن، ونحن في اعراس التحرر من افظع نظام متخلف طائفي، ان تكون التجربة المرة التي قاسى منها شعبنا العظيم في هذه العقود العجاف باعثاً على صحوة زاهية وبكل ما يزيل عن هذا الوطن العريق شوائب الماضي السحيق، فنعمل على بنائه بما يعلي شأنه في العالم، وبما يوضح معالمه الشامخة في عقيدته، وأصالته، وخصوصيته، من خلال مؤسسات منتخبة تعبر بوضوح عن وحدة الوطن، وعراقة شعبه بكل مكوناته من عرب واكراد وتركمان ومسيحيين، وسائر اقلياته.

ان علينا ـ ابناء هذا البلد ـ ان نتعلم ونعلم الناس كيف نحقق حقوقنا من دون خوف وخشية ووجل، وبالطرق السلمية؟ وكيف نتمكن من اعادة السلطة للشعب بعد ان سلبت منه طوال العقود السوداء الماضية؟، وكما تشير المقولة الشهيرة «ما ضاع حق وراءه مطالب».

كما علينا ان لا نتوقع لشعب عاش اكثر من ثلاثة عقود في طاحونة الدمار والموت ان تتغير الامور في البلاد بشكل طبيعي سريع، فالتركة الثقيلة تركت بصماتها على كل انسان عراقي، وتجاوزته الى الشجر والتربة والانهار، لذلك لا يمكن التحدث عن الاستقرار والامن الا بشكل نسبي، وبهذا المعيار يمكننا القول ان العراق اليوم افضل من امسه، ونطالب قوى التحالف بجدية اكثر في ملاحقة فلول النظام البائد، والمجاميع الاجرامية المتوافقة معها، من اجل وضع حد للجرائم وحالات الاختطاف والسلب والنهب والطيش، ورحم الله شاعرنا الكبير حين يقول: فضيّق الحبل واشدد من خناقهم/ فربما كان في إرخائه ضرر...

* رجل دين وسياسي عراقي. والنص من محاضرة ألقاها في نادي العلوية في بغداد في ٢١ حزيران (يونيو).

الإنسان ـ المواطن ـ الوطن؟!

عرفان نظام الدين *

■ حبا الله العرب بثروات وخيرات لا حدود لها، ولا مثيل: ثروات معدنية ونفطية ومائية وأرض خصبة للزراعة وموقع استراتيجي مهم للتجارة والسياحة والتبادل الحضاري. والأهم من كل هذه الثروات، ثروة روحية غالية ودين سماوي وشريعة سمحة وحضارة لا تضاهيها حضارة أخرى عبر مراحل تاريخ البشرية منذ بدء الخليقة.

فماذا فعلنا بكل هذه الثروات؟... وماذا استفدنا منها؟ وكيف تصرفنا للمحافظة عليها واستخدامها في البناء والتنمية وتجديد الحضارة وتحقيق الأهداف المرجوة منها وحماية مستقبل الأجيال وتحصين الذات وحماية مكتسبات الأمة وأرضها وعرضها لتبقى كما كانت «خير أمة أخرجت للناس»؟ ثم ماذا فعلنا بهذا «الإنسان» وهل أفلحنا في بناء شخصيته السوية القوية القادرة على مواجهة الأعاصير ومجابهة الأعداء والتعامل مع متغيرات كل زمن؟

إنها أسئلة حائرة لا يملك الإنسان إلا أن يتحسر على واقعنا، وهو يحاول تلمس طريق الإجابة عليها وكشف أبعادها ومعانيها ومعرفة حقائقها وخفاياها وإدراك حجم الأخطاء والخطايا التي ارتكبت بحق الأمة والأفراد والثروات والخيرات، ومسلسل جرائم التبديد والهدر التي ارتكبت بحقها، وفصول الفساد والتخريب المنهجي الذي طال كل مفصل من مفاصلها حتى وصلنا إلى ما نحن عليه الآن من تخلف وفرقة وضعف مخز جعل العرب «مضرب عصا» لمن هب ودب، ودفعهم للدخول يوماً بعد يوم في دوامة رهيبة والوقوع في شرك الصهيونية التي تهدد حاضرهم ومستقبلهم وتحتل أرضهم وتدنس مقدساتهم في القدس الشريف.

هذه المقدمة ليست لجلد الذات وتثبيط الهمم والعزائم، بل لدق ناقوس الخطر بعد سلسلة الأحداث الخطيرة التي عشناها وشاهدناها والتداعيات والممارسات والظواهر التي رافقتها في العراق والمنطقة بأسرها وحال الإحباط التي تولدت نتيجة للسقوط المهين لبغداد وانهيار نظام ظالم بعد ٣٠ سنة من الهيمنة والظلم والديكتاتورية البغيضة والمجازر والجرائم التي ارتكبها بحق شعب أبي انتزعت منه كل مقومات الحياة الكريمة وأجبر على شرب السم والعلقم وشتى أشكال الإذلال والقهر.

كم يحزن المرء عندما يواجه الموقف الحالي بصراحة وصدق، وكم يتمنى لو يتغاضى عما يجري أو يتناساه، لعله يمني النفس بأمل أو يحلم مبهج ولكن ساعة مواجهة الحقيقة حانت، والأخطار داهمة، وما حرب العراق سوى بداية، أو صفارة انذار لعل العرب يتنبهوا لها وينهضوا لإنقاذ ما يمكن انقاذه قبل فوات الأوان.

فالكذب على النفس لم يعد يفيدنا، والشعارات البراقة لن تجد سوقاً رائجة بعد اليوم، ومحاولة ايجاد الأعذار والمبررات ستمني بالفشل، كما أن تبادل الاتهامات ومحاولة كل طرف رمي المسؤولية على الأطراف الأخرى لن يجدي نفعاً، والصراحة مهما كانت صارخة وجارحة أصبحت ضرورة ملحة. وأذكر على سبيل المثال ما تعرض له شيخ الأزهر محمد الطنطاوي لأنه تحدث عن «الرعاع» وهاجم النفاق والدجل والظواهر المرضية التي تلتهم حاضرنا ومستقبلنا وتنهش لحمنا وسمعتنا، وهو بالتأكيد لم يقصد الأمة العربية أو الإسلامية بكاملها لأنها مغلوبة على أمرها، بل قصد فئات بعينها تدعي التحدث باسمها أو تمثيلها وهي التي تطفو على السطح وتتظاهر وتتحكم برقاب الناس وتثير الفتن.

ولا اريد أن افسر مقاصد الشيخ الطنطاوي أو ابرر أقواله، فهو قادر على الرد، لكنني اردت أن أصل إلى جوهر الأزمة التي نعيشها ونكتوي بنارها وهو مأزق الإنسان العربي وما تعرض له من تهميش وقهر وتيئيس وتهجير وتكفير بالوطن والقيم. وجاءت أحداث العراق وتداعيات سقوط النظام والظواهر التي رافقت هذا السقوط لتطرح السؤال المحوري: لماذا وصل الإنسان العربي إلى هذا الدرك... ومن المسؤول عن ذلك؟

قيل الكثير عن معاني سقوط العراق وعاصمته بغداد بالطريقة المهينة التي صدمتنا وهزتنا من الأعماق، وقد تكون كل التفسيرات، أو بعضها، صحيحة، ولكن لنترك الأيام تنبئنا بما جرى وتفضح الأسرار وتحل الألغاز والأحاجي العراقية والأميركية ولنركز على محور الصمود والنضال والمجابهة، وهو الإنسان... فكيف نطلب من الجندي العراقي، والمواطن العراقي بشكل عام، أن يستبسل ويصمد ويدافع عن نظام ذبحه من الوريد إلى الوريد وحطم معنوياته وداس كرامته وقضى على زهرة شباب البلاد ونهب الثروات ليبني القصور ويوزع العطايا على الأقارب والمطبلين والمزمرين له. وماذا بقي من الإنسان العراقي بعد سنوات القهر والحرمان والحصار والحروب التي دفع ثمنها دم قلبه وأرواح الملايين واستنزف الثروات، فعم الفقر وأغرى الطامعين بالدخول إلى الخليج أولاً ثم إلى قلب العراق؟

وأين حصانة الإنسان العراقي وحيويته وقدراته اللامحدودة، وهو المشهود له بالجرأة والشجاعة والعلم والايمان والكرامة والنخوة والثقافة الواسعة؟ كل شيء تبدد أيام القهر: ملايين القتلى والجرحى والمصابين والمقعدين والمرضى نفسياً من جراء أهوال الحروب والمؤامرات والاغتيالات والظلم والاضطهاد.

مئات الألوف من المعتقلين والمفقودين والهاربين واكثرهم عذب ونكل به ثم دفنوا احياء في مقابر جماعية اكتشف بعضها خلال بحث الأهالي عن أحبائهم وأولادهم بعدما وضعت الحرب أوزارها وانكشف المستور وانفضح الباطل. ملايين العاطلين عن العمل والمطرودين من وظائفهم وأعمالهم، فمنهم من قطعت أذانهم ومنهم من اجتزت ألسنتهم ومنهم من كان محظوظاً فوجد وسيلة للهرب حتى بلغ عدد المنفيين طوعاً أو قسراً اكثر من ٤ ملايين مواطن عراقي بينهم عشرات الألوف من الأدمغة وأصحاب الخبرة وحملة الشهادات العليا والاطباء والقضاة والمحامين والعمال المهرة.

وبعد هذا نسأل عن الصمود والتصدي والبطولات ونتساءل عن أسرار السقوط؟ ثم نسأل عن العراقي الإنسان والمواطن والجندي المضطهد والضحية... ونسأل ايضاً عن الوطن الذي تحول الى عدو وجلاد! ولنركز قليلاً على الجندي المسكين الذي رمت به قيادته في غياهب الحرب وأهوالها وفرت خائبة مذعورة، كيف يمكن له ان يقاتل وهو محروم من انسانيته وأبسط متطلبات الحياة والعيش الكريم... وقد شاهدنا على شاشات التلفزيون عينات من جنود يرتدون ثياباً رثة مهلهلة وأحذية بالية تحدثوا عن معاناتهم وعطشهم وجوعهم واسلوب معاملتهم ورداءة الطعام الذي كان بالكاد يصل اليهم، عدا عن انقطاع الاتصالات والأسلحة المتخلفة والتخطيط السيئ وانعدام الحماية اللازمة والرعاية الطبية والتغذية السليمة، وعدم الاهتمام أو الحرص على حياة البشر مما أدى الى تدهور معنوياتهم ووصولها بعد ايام من بدء الحرب الى الحضيض. في المقابل رأينا الجندي الاميركي مزوداً بأحدث أنواع الأسلحة والمعدات والاتصالات الحديثة المباشرة وتتوافر له كافة وسائل الحماية وتقدم له الوجبات المغذية والفاخرة والمياه العذبة واجهزة السلامة والاقنعة الواقية، والحرص على حياته حيث لكل انسان قيمة وأهمية كبرى، على عكس ما يجري للانسان العربي بشكل عام.

وكم يحزن المرء عندما يرى الدولة بكافة اجهزتها تتحرك لإنقاذ الأسرى الأميركيين والاحتفال بتخليصهم من الأسر كما جرى للأسيرة جيسيكا لينش والأسرى الآخرين، وتوفير أفضل الرعاية للمصابين ومنحهم الأوسمة ورعاية أهالي القتلى وتأمين حياة كريمة لأولادهم، فيما نرى الآلاف من القتلى تنهش جثثهم الكلاب، ويمتنع عن دفنهم، حتى الأناس العاديين، بزعم انهم من منطقة عراقية اخرى، والآلاف من الجرحى الذين كانوا يئنون من شدة الآلام وعذابات جراحهم من دون ان يسأل عنهم احد أو يقدم له شربة ماء أو حبة دواء مسكن... أما الأسرى فحدث عنهم وعن آلامهم ولا حرج، فقد تركوا كأنهم الأيتام على مائدة اللئام، أو كأنهم أبناء غير شرعيين لهذا الوطن الذي لا يهتف أزلام النظام له بل يهتفون «للملهم» بالروح والدم سيفدونه، وهم حتى في هذا الهتاف لم يصدقوا ولم يفوا.

نعم، بعد كل هذا نسأل عن «الانسان» وعن الصمود ونحن لا نقرأ أوراق التاريخ ونتعطش بعبره ودروسه منذ بدء الخليقة. وأعطي هنا مثلاً حياً واحداً ومشابهاً من مجريات الحرب العالمية الثانية، فقد سكر هتلر بالنصر الأولي الذي حققه الجيش الألماني فدفع بفرقه الى الجبهة الروسية لتصل الى ستالينغراد والعمق الروسي، مصيدة الجيوش، وما ان حل الشتاء ووصلت درجات الحرارة الى ما دون الصفر بكثير وغطت الثلوج المنطقة حتى شعر الجنرالات الألمان بالخطر على معنويات الجنود الذين كانوا في ملابسهم الصيفية وأحذيتهم الخفيفة ويعانون من نقص في الأغذية والأدوية... وحاولوا عبثاً اقناع القيادة بإرسال الألبسة الثقيلة والاغذية والأدوية المناسبة لمقاومة الثلوج والبرد، لكنها لم تستجب لمطالبهم الملحة فانهارت معنويات الجنود وبدأ العد العسكي لهزيمة المانيا النازية في الحرب من هذه الجبهة ومن منطلق عدم الاهتمام بالانسان محور النصر والهزيمة قبل السلاح والمال، وهو المثال الذي حدث من قبل مع نابليون في المكان نفسه والظروف والملابسات والنتائج نفسها.

هذه هي الحقيقة التي يحاول كثيرون تجاهلها في الحرب كما في السلم: فهل سألنا انفسنا يوماً لماذا هذه القطيعة بين الانسان والمواطن والوطن؟ وعن أسباب وخلفيات ما جرى من أعمال نهب وتخريب واحراق للمرافق العامة والدوائر الرسمية ومراكز الاستخبارات والأمن على رغم ان من الطبيعي ان نفترض انها قامت اصلاً لخدمة المواطن ورعايته وحمايته! ثم هل تساءلنا يوماً عن تركيز المتظاهرين في مناسبات كثيرة على تحطيم أشارات الكهرباء ووسائل المواصلات العامة وغيرها وكل ما يمت الى الدولة من رموز!

انها أزمة ثقة لا بد ان تعالج بسرعة قبل ان يفوت الأوان، وهذه مسؤولية الجميع: الدولة والمواطن والأهل والمثقفين ورجال الأعمال والاعلام والمفكرين والمربين ورجال الدين والمعلمين، ولا بد من عقد اجتماعي جديد يحل الإشكالات ويركز على رعاية الانسان وحماية حقوقه وكرامته وتغذية المشاعر الوطنية حتى يشعر المواطن انه في وطنه حقاً وليس غريباً عنه أو منفياً يعاني من غربته أو متهماً دون ان تثبت براءته.

فالوطن، والنظام المفترض ان يكون حامياً له، لا ناهباً وغازياً، مطالب بأن يكون الراعي الحنون والرؤوف بالمواطن والمساعد له على تحمل مسؤولياته واخذ زمام المبادرة لإثبات ذاته، ولا يريد احد بعد اليوم لا الوطن الظالم عبر نظامه ولا المواطن الذي يتحول نظامه الى تاجر يبيع ويشتري حتى الدخان والبطاطا والاحذية ويدير كل شأن من شؤون الحياة مقابل شراء سكوت المواطن الذي تحول الى انسان خامل ساكن لا طموح له ولا رغبة بخلع رداء الكسل، فعمت حالات اللامبالاة والتسيب والإسقاط والتهرب من تحمل المسؤولية.

أما المعارضة والمعارضات فقد خيبت آمال المواطن الذي لم يعد يحتمل المزيد من خيبات الأمل والهزائم والنكبات بدلاً من الانتصارات المزعومة والبطولات الوهمية والوعود العرقوبية، وكم يحزن المرء عندما يكتشف ان معظم المعارضات اسوأ باشواط من الانظمة والحكومات وان بعضها مرتبط بالمطامع الاجنبية وبعضها الآخر لا يفرق بين معارضة الحكومة ومعارضة الوطن، فيسهم في ضرب عوامل وحدته واستقراره وسيادته. لا بد من عودة اخرى لمعالجة هذا الموضوع الشائك والمساهمة في ايجاد قاسم مشترك يعيد اللحمة والثقة لهذا الثلاثي: الوطن ـ الانسان والمواطن. ومن هنا تكمن بداية العلاج لمشاكلنا العربية قبل أي بداية اخرى!!

* كاتب وصحافي عربي.

هدنة مع الاحتلال

■ لا داعي لأن يخدع أحد أحداً. الهدنة أو وقف النار كلاهما صيغة كانت مرفوضة سابقاً، لأنهما يعنيان وقف الانتفاضة، وهذا ما يريده الأميركيون والإسرائيليون أن يعني وقف المقاومة. الرفض السابق كان مبرراً، لأن وقف النار بلا مقابل كان استسلاماً مجانياً. القبول بالهدنة الآن له أسبابه: انسداد الأفق فلا التوحش والإرهاب الإسرائيليان بلغا أهدافهما، ولا استمرار الانتفاضة على النحو المعروف كان سيوصلها إلى أهدافها بإزالة الاحتلال وتحصيل الاستقلال وإقامة الدولة.

ثمة أسباب أخرى: هناك الآن مشروع دولي – أميركي يشبه خطة العمل لترسيخ التهدئة ومراقبتها، لرعاية التفاوض، وللتوصل إلى هدف محدد مسبقاً، انه الدولة الفلسطينية، بما تعنيه من زوال مفترض للاحتلال. من الأسباب أيضاً عودة الولايات المتحدة إلى الاهتمام بالقضية الفلسطينية. قد يكون تورطها في العراق دافعاً لهذا الاهتمام، لكن المؤكد أن لا حل سلمياً للقضية، حاضراً ومستقبلاً، إلا من خلال دور أميركي. الحل الآخر، غير السلمي، لم يعد متاحاً، إذا لم يكن قد سقط عربياً.

كانت لـ«خريطة الطريق» سمعة جيدة، إلى أن طرحت إسرائيل تحفظات وتعديلات عليها. قبلها الفلسطينيون والعرب بلا أي «ولكن» ارضاء للولايات المتحدة، ولم تقبلها إسرائيل إلا مشفوعة ببيان أصدره كولن باول مع كوندوليزا رايس، وفُهم منه أن تحفظات اريل شارون وشاؤول موفاز وسائر أفراد العصابة مأخوذة في الاعتبار. كان ذلك ضربة أولي لـ«الخريطة»، ومع ذلك عقدت قمتا شرم الشيخ والعقبة كأن تحفظات إسرائيل لم تكن. ولا يُعرف إذا كان الجانب العربي سأل الجانب الأميركي عما يعنيه بيان باول – رايس، وهل اننا لا نزال نعمل بموجب «الخريطة» التي نعرفها أم أنها تغيرت. كان عدم السؤال من قبيل إراحة «الأخ الأكبر» الأميركي، لكنه سيكون مكلفاً في ما بعد، لأن مفاعيل التحفظات الإسرائيلية ستظهر ولن تكون مريحة لأحد.

الآن، الهدنة، كأول حركة على «الطريق» وفقاً لـ«الخريطة». الهدنة ليست كافية في العرف الأميركي والإسرائيلي. الهدنة اختبار لإسرائيل ولأميركا في عرف الفصائل الفلسطينية. لكن الأميركيين والإسرائيليين يفترضون أن «الهدنة» يجب أن تعني زوال تلك الفصائل، أي زوال «الاختبار». قد تكون السلطة – الحكومة الفلسطينية راغبة أيضاً في تبني ذلك الاختبار، لأن الثقة أقل ما يقال انها معدومة في ما يظهره الأميركيون أو في ما يقدمه الإسرائيليون. لكن السلطة – الحكومة مخفوضة الصوت محدودة النبرة، مهمومة بما لا يصرّح به أكثر مما هي مشغلة بما يصرّح به. الهدنة تنقذها فلسطينياً فلا تبدو تحت رحمة الفصائل، أما تفكيك «البنية العسكرية» للمقاومة فلن يلبث أن يعيد المواجهة مع هذه الفصائل، فالتفكيك يعني انهاءها من دون أن يعني أن السلطة – الحكومة قادرة على اجتراح المعجزات. المأزق موجود.

أميركا مهووسة بالإرهاب. إسرائيل فاقمت هوسها به. المشكلة، إذاً، ليست في الاحتلال، وإنما في المقاومة التي يواجهها الاحتلال، بل ان هذه المقاومة إرهاب طالما انها تستخدم العمليات الاستشهادية. بعد ١١ سبتمبر لم تعد أميركا ترى سوى الإرهاب، ومن هذا المنظار تقدم مقاربتها الجديدة للقضية الفلسطينية. إرهاب الدولة الإسرائيلي مشروع في نظرها، فهي تؤيد هذا النوع من الإرهاب ولا تحبذ الآخر. على رغم كل النيات الحسنة، وكل ما يمكن تخيله من مبادرات أميركية، فإن هذه المقاربة للحل السلمي – المفترض أن يكون تاريخياً – ستبقى عرجاء، خصوصاً أنها لا تقيم أي ندية بين الطرفين. ثم ان دزينة من الاجراءات التي تنص عليها «الخريطة» وتستند فيها إلى قرارات الشرعية الدولية، لم يسبق للولايات المتحدة أن اتخذت حيالها أي مواقف، حتى من قبيل احترام القوانين الدولية.

ثم، إذا تعذر «التفكيك»، وهو سيتعذّر، ما العمل بـ«الخريطة»؟ هل تتوقف؟ هل يرمى كل شيء لأن مجرماً مثل موفاز أو شارون لا يريد الاعتراف بأن «حماس» و«فتح» هما المجتمع الفلسطيني وليس تنظيم «القاعدة» المصطنع في أفغانستان؟ ومن سيفكك التطرف والإرهاب في الجانب الإسرائيلي، ومن يستطيع أن يفهم عباقرة الإدارة في واشنطن ان هذا الإرهاب كان لا بد أن يستدعي ولادة ذاك؟ يُخشى أن هدنة ترتب بموجب عقدة الإرهاب وضرورة مكافحته في جانب واحد فقط، قد لا تكون مؤهلة لفتح المسار السياسي على نحو سليم.

عبدالوهاب بدرخان

منطق اللامنطق...

■ يبدو عالم اليوم وكأنه يعاني انفصاما جماعيا: اميركا تريد ديموقراطية في الشرق الاوسط، لكنها تعمل على تهميش رئيس فلسطيني منتخب لمصلحة رئيس وزراء معين، تريد ديموقراطية على الطريقة الغربية، لكنها ترفض أعطاء دور اساسي للغالبية الشيعية في العراق. حاربت الشيوعية بالاسلاميين، ثم عادت لتحارب الاسلاميين بإسم مكافحة الارهاب. اسرائيل تريد من «حماس» ان تضمن امن اسرائيل بعدما هشمت وهمشت السلطة الفلسطينية، لكنها لا تريد انهاء الاحتلال الذي تسبب بالمشكلة الامنية مع السلطة ومع «حماس» وغيرها. دمرت المؤسسات الامنية الفلسطينية ثم طالبتها بحماية امنها نيابة عنها. الارهاب يعالج وكأنه مجرد ظاهرة مرضية منعزلة لا علاقة لها بأسباب ومسببات سياسية واقتصادية موضوعية. دول عربية تتحدث عن الاصلاح لكنها تحارب الاصلاحيين. مؤتمر دافوس انعقد في البحر الميت...

اعلن تنظيما «حماس» و«الجهاد الاسلامي» امس «هدنة». ليس واضحا تماما ما إذا كانت الهدنة مع اسرائيل ام مع السلطة الفلسطينية ام مع اميركا. اميركا تفاوض السلطة على ضبط المعارضة لمصلحة اسرائيل في مقابل وقف اسرائيل حربها على السلطة والمعارضة وكل من يتحرك في الاراضي الفلسطينية. اسرائيل، بدورها، تفاوض اميركا على السلطة والمعارضة وفلسطين معا! اميركا واسرائيل لا تعترفان بـ«حماس» و«الجهاد الاسلامي» وتريدان تفكيكهما، لكنهما تطلبان منهما التزاما بوقف العمليات الانتحارية تمهيدا لتفكيكهما.

منطق اللامنطق ينسحب على الحرب ضد الارهاب: انعدام الامن يعالج بمزيد من الاجراءات التي تسببت بالارهاب اصلا. لا يبدو ان هناك من يريد ان يتعامل مع اصل البلاء.

الحال هي ان منطق القوة يسود على قوة المنطق. قرارات الشرعية الدولية وضعت على الرف. كوندوليزا رايس تهدد بـ«العلاج الاميركي» وليس القانون الدولي للتعامل مع ايران وكوريا الشمالية. الموقف العربي ليس اكثر عقلانية او منطقا: لا نريد تدخلا اميركيا في شؤوننا الاقليمية او الداخلية على رغم اننا لسنا قادرين على معالجة مشاكلنا الاقليمية والداخلية. نريد من اميركا ان تحرر فلسطين ولكننا نعارض تدخلها لتحرير العراق من نظام اسوأ من الاحتلال. اليست فلسطين عضوا في الجامعة العربية؟ لماذا لا نطالب اميركا بعدم التدخل في الشؤون الداخلية الفلسطينية؟

ليس أسوأ من ازدواجية المعايير الاميركية سوى الازدواجية العربية.

اميركا تطالب بمكافحة الارهاب لكنها ترفض تعريفه خوفا من ان ينطبق التعريف عليها وعلى اسرائيل. العرب لا يريدون تدخلا اميركيا في الشرق الاوسط، إلا إذا كان لتحرير الفلسطينيين من حليفتها الاستراتيجية الوحيدة في المنطقة.

وكأن اميركا لا هم لها سوى خدمة المصالح العربية. وكأن اللوبي العربي هو الذي يتحكم بالقرار الشرق اوسطي في واشنطن!

سلامة نعمات

الحياة AL HAYAT
أسسها كامل مروة عام ١٩٤٦
رئيس التحرير: جورج سمعان
Editor-in-Chief: George Semaan

رئيس التحرير المساعد: غسان شربل
نائب رئيس التحرير: عبد الوهاب بدرخان
مديرا التحرير: زهير قصيباتي
عبدالله اسكندر

المدير العام: روبير جريديني

■ المكتب الرئيسي (لندن):
KENSINGTON CENTRE, 66 HAMMERSMITH ROAD, LONDON, W14 8YT
– التحرير: الهاتف: 020-76029988 الفاكس: 020-73714215 / 020-73714225 التلكس: 925746
– الادارة العامة: الهاتف: 0207-6029988 الفاكس: 0207-6024963 التلكس: 925751
– التوزيع: الهاتف: 0207-6052123 0207-6052122 الفاكس: 0207-6024514
■ مكتب باريس: 162 Rue du Faubourg Saint Honore 75008 - PARIS Tel: 42 25 9204 Fax: 42 25 9217
■ مكتب بيروت: الوسط التجاري – شارع المعرض – مبنى دار «الحياة» – ص.ب ١١/١٢٤٢
هاتف: ٤ / ٣ / ٢ / ١ / ٩٨٧٩٩٠ (٠١) فاكس التحرير: ٩٨٣٩٩٥ (٠١) فاكس الادارة: ٩٨٣٩٢١ (٠١)
■ مكتب الرياض: جرير بلازا – الدور الرابع – شارع العليا العام
ص.ب. ٦٨٩٠٧، الرياض ١١٥٣٧، الهاتف: ٤٦١٥٠٧٥ / ٤٦١٥٠٩٦ / ٤٦١٥٠٤٠٢، الفاكس: ٤٦١٥٣٢٥
ادارة التسويق: هاتف: ٥٤٠٢ ٤٦١، فاكس: ٧٥٣٢ ٤٦١ .
■ مكتب جدة: شارع الاندلس، بناية تهامة، الطابق الثالث. ص.ب. ٢٣٥٦٨، جدة ٢١٤٣٦، الهاتف: ٦٥٣٤٤٢٦، ٦٥٣٢٢٠٢ الفاكس: ٦٥٢٠١٥١
■ مكتب الدمام: الدمام، شارع الملك فهد، مبنى تهامة تليفاكش : ٨٤٣٤١٠٠-٠٣
■ مكتب القاهرة: ٨ شارع رستم المتفرع من شارع اميركا اللاتين